

## الوحدة: فلسفة الأنوار (الفصل الرابع)

**ملاحظة:** هذا الملخص كنت أرسلته في البداية، لكنني اكتشفت مؤخرا أنه لم يصلكم. يجب أن تبدأوا به، ثم الانتقال إلى الملخص 2، بعده الملخص 3.

طلبتني الأجزاء،

سلام تام، ومتمنياتي لكم ولعائلاتكم بالصحة والعافية والنجاة من هذه الجائحة وبعد:

أولاً: بخصوص المراجع فقد سبق ووضعت رهن إشارتكم في مركز النسخ مقالة ما الأنوار؟ لكانط، وأيضاً رسالة في التسامح لجون لوك. إن هذين المرجعين ضروريين، وأنتم أحرار في اختيار مراجع أخرى تساعدكم على المزيد من استيعاب عناصر الوحدة والتعمق فيها.

ثانياً: إن طريقة توظيف المراجع مع أهداف الوحدة ومحتوياتها، يتجسد في الملخص أسفله.

ثالثاً: إنني تحت تصرفكم فيما يخص كل التساؤلات والمشاكل التي تعترضكم في الفهم والاستيعاب، بعد توفير قناة تمكننا من التواصل.

### 1 – أهداف الوحدة

تهدف وحدة فلسفة الأنوار إلى تعريف الطالب ب:

- الخلفيات التاريخية، والفكرية، والاجتماعية للقرن الثامن عشر.
- المفاهيم والأفكار الأساسية للقرن الثامن عشر في عموم أوروبا.
- آثار القرن بأفكاره وثوراته على العالم فيما بعد، وبالخصوص على الفكر المعاصر.

### 2 – محاور الوحدة

- المناخ التاريخي والفكري للقرن الثامن عشر
- المفاهيم والأفكار الأساسية للقرن الثامن عشر وفلسفات الأنوار (فلاسفة الأنوار في فرنسا - حركة الموسوعيين، والفلسفة الإنجليزية في القرن الثامن عشر - جون لوك ودافيد هيوم -، وأفكار كانط حول الأنوار)
- آثار فلسفات الأنوار على الفكر المعاصر

## 1 - المحور الأول: مدخل عام لفلسفة الأنوار

بما أن كل مرحلة تاريخية من مراحل تطور الفكر البشري، لا يمكن أن تبدأ من الصفر، وإنما تنبثق إما من خلال الاعتماد على أو التقاطع مع، أحداث ومؤشرات مهدت لها الطريق؛ فإن فلسفة الأنوار لا تحيد عن هذه القاعدة. فقد أتت هذه الأخيرة كنتويج لمجموعة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، والثقافية التي طغت على المجتمعات الأوروبية قبل القرن الثامن عشر. ولذلك لا بأس من إطلالة قصيرة على هذه التحولات كمدخل للاستيعاب الجيد لمواضيع ومفاهيم واهتمامات فلسفة الأنوار، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

- 1 - التحولات الاجتماعية والسياسية لأوروبا في العصر الحديث
- 2 - الحركة الإنسية
- 3 - الإصلاح الديني

## 1 - 1 - التحولات الاجتماعية والسياسية لأوروبا في العصر الحديث

خضعت أوروبا لمجموعة من التغيرات الاجتماعية والسياسية مع بداية العصر الحديث. وتمثلت هذه التغيرات في بداية تفكك النظام الإقطاعي وتزحزح طبقاته الاجتماعية. وأيضاً نشأة وتطور البورجوازية التي اعتمدت على المال و التجارة، مستفيدة في ذلك من الاكتشافات الجغرافية الكبرى، وتوسع السوق التجارية، بالإضافة إلى ظهور الدولة القومية الحديثة، على أنقاض الدوليات المتفككة المحدودة الأفق.

## 1 - 1 - 1 - طبيعة المجتمع الأوروبي في الحقبة الوسيطة

تشكل المجتمع الأوروبي في أواخر الحقبة الوسيطة من طبقات ثلاث: **طبقة النبلاء** (الإقطاعيون أو الفيوداليون)، وتتشكل من كبار ملاك الأراضي في إطار الفلاحة التقليدية، حيث كانوا يجمعون بين الثروة والسلطة، ويشكلون أقلية في المجتمع. **رجال الدين** (الإكليروس): وهي طبقة تتمتع بمجموعة من الامتيازات من بينها حمايتهم من طرف النبلاء وحصولهم على مجموعة من الامتيازات (العطاءات والهدايا، الإعفاء من الضرائب...)، وكانوا أيضا يشكلون أقلية في المجتمع. **الفلاحون الصغار**: وكانوا يقومون بأعمال الصخرة (أعمال إجبارية بدون مقابل) لفائدة النبلاء ورجال الدين، بالإضافة إلى تأدية الضرائب. وقد كانوا يشكلون غالبية المجتمع الأوروبي.

## 1 - 1 - 2 - نشأة وتطور البورجوازية الأوروبية

مع بداية عصر النهضة بدأ هذا التقسيم التقليدي للمجتمع يتصدع، حيث بدأت البورجوازية تحل تدريجيا محل الإقطاعية. وذلك نتيجة للتحويلات الاقتصادية التي تمثلت في الانتقال من الفلاحة التقليدية إلى مزاولة التجارة والأنشطة المالية.

## 1 - 1 - 3 - بناء الدولة القومية الحديثة

تماشيا مع التطورات الاقتصادية المذكورة أعلاه، سلكت سياسية بعض الدول الأوروبية طريق التوحد أكثر فأكثر، وبدأت تتحول من إمارات مستقلة معزولة ومنتحاربة، إلى دول قومية حديثة. وأغلب الدول التي سلكت هذا الطريق، هي الدول التي كانت تتجاور مع الحضارة العربية الإسلامية وتتجاوز معها ثقافيا، وهي أيضا تلك التي انخرطت مبكرا في الاكتشافات الجغرافية و التجارة الدولية، وأهمها:

- إسبانيا توحدت في القرن الخامس عشر بعد زواج ملك الأراغون بملكة قشتالة وطرد العرب من الأندلس.
- في الفترة الممتدة من مطلع القرن الخامس عشر إلى منتصف القرن السادس عشر تم توحيد فرنسا تدريجيا، وأصبحت بعدها قوة كبرى في العالم.
- أما إيطاليا فكانت مجزأة إلى عدة إمارات من أبرزها البندقية، وفلورانس، وجينوة ونابولي، بعدها توحدت في إطار دولة قومية.
- وقد قامت هذه الدول على أسس سياسية استبدادية مثل:
  - الملكية المطلقة
  - المزج بين الدين والسلطة
  - البيروقراطية: وتتمثل في احتكار الأقلية الحاكمة للسلطة التقريرية
  - تقوية الأجهزة الإدارية والعسكرية والجبائية.

#### 1 - 1 - 4 - استنتاج

إن الطبقة البرجوازية التي بدأت تظهر في المدن كطبقة تجارية ومالية، كانت ثورية في كل اتجاهاتها وممارساتها. بوعي طبقي عرفت بأن القديم يعيق تقدمها، فعملت ما أمكن على تقويضه، وإنشاء الجديد على أنقاضه. وفي هذا الإطار نجدها تتبنى وتنشر كل الأفكار الجديدة، وتحاول في نفس الوقت دحض القديمة، وتبيان محدوديتها أمام تطور المجتمعات وازدهارها. الأمر الذي سيؤدي إلى نقد الأسس السياسية الاستبدادية التي قامت عليها الدولة القومية الحديثة، وطرح بدائل أكثر عقلانية وحرية. وهذا ما سيحاول الفكر التنويري في القرن الثامن عشر الإجابة عنه من خلال مفاهيم عقلانية عن الحكم والسلطة السياسية مثل: العقد الاجتماعي، وفصل السلط، والحرية، وغيرها من المفاهيم السياسية لفكر القرن الثامن عشر.

#### 1 - 2 - الحركة الإنسية

الحركة الإنسانية هي حركة فكرية وثقافية ظهرت في عصر النهضة بإيطاليا، ومنها انتقلت إلى باقي البلدان الأوروبية، ويعتبر الهولندي "ديسيريوس إراسموس" (1467 - 1536) أشهر من مثل هذه الحركة. وضد على فكر العصور الوسطى الذي كان متوجها نحو الله والدين مع تحقير الإنسان، فإن الفكر الإنسي نظر إلى هذا الأخير بإيجابية باعتباره أرقى الكائنات الحية. ولذلك تجلى جوهر هذه الحركة في جعل الإنسان محور التفكير والممارسة، و اعتبار المعرفة جوهر وجوده. وهو الموضوع الذي سيتلقفه فكر التنوير، ويعمل على تطويره وبلورته في قوالب عقلية وفلسفية.

### 1 - 2 - 1 - خصائص الحركة الإنسانية

من أبرز مميزات وخصائص الحركة الإنسانية:

- العودة إلى التراث القديم ومحاولة إحيائه، وخصوصا التراثين اليوناني والروماني
- تشجيع التعليم، والأخذ بالأساليب الحديثة في التربية.
- الاهتمام بمختلف العلوم والآداب والفنون.
- الالتفات إلى اللغات المحلية والإبداع بها، بدل اللغة اللاتينية.

### 1 - 2 - 2 - عوامل انتشار الحركة الإنسانية

ساهمت مجموعة من العوامل في انتشار أفكار الحركة الإنسانية من أهمها:

- الأهمية التجارية والمالية لإيطاليا التي مكنت من ظهور البرجوازية، التي عملت بدورها على تشجيع الحياة الثقافية والفنية.
- هجرة العلماء الأوروبيين المسيحيين إلى إيطاليا، بعد سيطرة العثمانيين على القسطنطينية سنة 1453م.
- اختراع المطبعة من طرف الألماني جوهان غوتنبرغ، ما مكن وفرة الكتب بأعداد كبيرة وبثمن مناسب، الأمر الذي ساعد على نشر المعرفة وتطوير التعليم.

### 1 - 2 - 3 - أبرز نتائج الحركة الإنسية

من أبرز نتائج الحركة الإنسية قيام نهضة أدبية وعلمية وفنية. فأديبا، تزايد الإنتاج الأدبي باللغات المحلية وتتنوع مواضيعه، مثل القصص والروايات والقصائد الشعرية والمسرحيات وغيرها. وعلميا، فقد تم إدخال الأعداد السالبة في الرياضيات، واكتشاف الدورة الدموية في الطب، والأهم هو اكتشاف نظرية مركزية الشمس في الفلك مع كوبرنيك. أما على المستوى الفني، فبدأ اعتماد الأبعاد الثلاثة والدقة وضبط الألوان، إلى جانب التحكم في الإضاءة والأخذ بمبدأ التناسب.

### 1 - 2 - 4 - استنتاج

غيرت بوصلة الحركة الإنسان اهتمام الإنسان الأوروبي من الدين واللاهوت، إلى الإنسان وقدراته؛ وكان الإنسان فجأة اكتشف نفسه، وأعجب بها. وبديل الإحساس بالذنب الذي كانت تعتبره الكنيسة شرطا للخلاص، وهدر الطاقات في الدين ومجادلاته التي لا تنتهي؛ بدأت الاهتمامات تتجه صوب الإنسان وقدراته الكامنة، والتي إن أحسن استعمالها يمكن أن تحقق الرفاه والسعادة. وهذا كان بمثابة توطئة لفكر الأنوار، الذي احتل فيه مفهوم الإنسان وما يرتبط به من عقل ومعرفة وحرية، مكانة مركزية.

### 1 - 3 - الإصلاح الديني

وهي حركة دينية شهدتها أوروبا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، تزعمها رجال دين تأثروا بأفكار الحركة الإنسية. فقاموا بتوجيه انتقادات عدة للكنيسة الكاثوليكية، مطالبين بإصلاح ديني يواكب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها أوروبا عصر النهضة.

### 1 - 3 - 1 - دوافع المطالبة بالإصلاح

من أبرز دوافع الحركة الإصلاحية ما يلي:

- فساد الكنيسة، وبالخصوص ابتزازها للمواطنين من خلال بيع صكوك الغفران.
- انغماس رجالها في الترف والملذات، مع ما لوحظ من تناقض سلوكياتهم مع ما يأمر به الدين المسيحي.
- القسوة في التعامل مع المنتقدين من خلال اتهامهم بالهرطقة والإلحاد (إعدام جان هس 1415م).

### 1 - 3 - 2 - أشهر قادة الإصلاح

انطلقت حركة الإصلاح الديني من ألمانيا على يد "مارتن لوتر" الذي قام بزيارة لروما، ووقف على مظاهر الفساد والانحلال الخلقي لرجال الدين وكذا ممارستهم لحياة البذخ والانغماس في الملذات. بعدها رفض صكوك الغفران وطالب بالرجوع إلى الكتاب المقدس وفهمه فهما صحيحا بعيدا عن تفسير رجال الدين له، قصد الاستغناء عن وساطة الكنيسة بين الإنسان وربه، بالإضافة إلى جعل الغفران مرتبطا بالعمل الصالح، وليس بالدفع للكنيسة. وكان أن لقيت هذه الأفكار استجابة من قبل الفلاحين، مما شجعهم على القيام بثورة سنة 1542م عارضها لوتر، بتبرير أنه يطالب بالإصلاح السلمي. بعد ألمانيا انتقلت حركة الإصلاح إلى سويسرا بزعامة "زونجلي"، ثم إلى فرنسا وجنيف بزعامة "جون كالفن".

### 1 - 3 - 3 - أبرز مطالب الإصلاح الديني

من أبرز مطالب الإصلاح الديني ما يلي:

- إنشاء كنيسة قومية للتخلص من التبعية الدينية لروما.
- السماح للقساوسة بالزواج.
- التغلب على الهرطقة بالأفكار والكتب، وليس بالحرق والإعدامات.
- توحيد القانون ليطبق على رجال الدين والمدنيين على حد سواء، مع التخلي عن قوانين الكنيسة في الحكم.

- الدعوة إلى إحلال الزواج بين المسيحيين وغير المسيحيين حيث قال "مارتن لوتر" في هذا الصدد: "إن الشخص الوثني سواء كان رجلاً أو امرأة فإن الله خلقه، كما خلق القديس بطرس والقديس بولس"

### 1-3-4 - استنتاج

إن أهمية حركة الإصلاح الديني بالنسبة لفلسفة الأنوار، هي أنها مهدت الطريق لمعالجة هذا الموضوع الشائك والمتمثل في الدين وعلاقته بالعقل والفلسفة، والسلطة السياسية، والأخلاق، وغيرها من أشكال الحياة العامة. ورغم أن زعماء الإصلاح الديني اكتفوا في الغالب بالمطالبة ببعض الإصلاحات، مع الإبقاء على ولائهم للكنيسة (ورغم ذلك فلم يسلموا من اضطهاد الكنيسة، ومحاكم التفتيش)، لكنهم ألهموا وشجعوا فلاسفة الأنوار إلى الذهاب بعيداً في هذا الموضوع، وبذلك بدل الإصلاح طالب بعضهم بتنحي الكنيسة نهائياً عن السياسية، وفتح المجال أما الحكم المدني. وبدل عدم المبالغة في القسوة تجاه المنتقدين، طالبوا بالحرية الدينية، ما فتح المجال أما نقد النصوص الدينية، والتعددين الديني والطائفي على أساس فكرة التسامح الديني. وبدل التماس غفران الذنوب من الكنيسة، ربطوا التقوى بالعمل الصالح، وفصلوا نهائياً الأخلاق عن الدين.

### خلاصة المحور الأول

كانت العوامل المذكورة أعلاه (التحولات الاقتصادية والاجتماعية، والحركة الإنسانية، والإصلاح الديني)، بمثابة مقدمات هيأت الأرضية تدريجياً لبروز عصر جديد. فبواسطتها ومن خلالها تجرأ العقل الأوروبي في القرن الثامن عشر على تقويض الأنظمة القديمة وتعويضها بأخرى تقوم على أساس العقل، وهي العملية التي اصطلح عليها بالتنوير. فما مفهوم الأنوار (Les Lumières, The Enlightenment)؟ وما هي مرحلته التاريخية؟ وما هي مفاهيمه وأفكاره الأساسية؟ وما نتائجه على المجتمعات الأوروبية في القرن الثامن عشر؟ وما هي تداعياته على الجنس البشري عامة؟



## أ - المحور الثاني: المفاهيم والأفكار الأساسية لفلسفة الأنوار

### أ - 1 - مفهوم الأنوار

أعزائي الطلبة سيتم الاعتماد بشكل كبير على مقالة كانط ما الأنوار؟ في تحديد مفهوم الأنوار ومجالاته ومفاهيمه، لذلك عليكم قراءة المقال جيدا، وميعادنا في اللقاء القادم.